في ظلال الصمت

هـا أنـا عـدت إلى حيث التقينـا
في مكـان رفـرفت فيـه السعـادهْ
وبـه قـد رفـرف الصمت علينـا
إن في صمـت الحبيبيـن عبـادهْ
ربّ لـحنٍ قص في خـاطـرنـا
قصةَ الساري الـذي غنى سهـادهْ
وكـأنَّ الـصـمـتَ منـه واحـةٌ
هيَّأتْ من عشبها الـرّطبِ وسـادهْ

* * *

صـمتَ الـسّهـلُ ولـكـن أقـبـلتْ
من ثنـايـا السهـل أصـداءٌ بعيـدهْ
كـلُّ لحنٍ في هـدوءٍ شـامـلٍ
تشتهي النفسُ بـه أن تـستـعيـدَهْ
يـتـهـادى في عُـبـابٍ سـاحـرٍ
بـاعثٍ للشطّ أمـواجـاً مـديـدهْ
فـإذا مـا ذهـب الـليـلُ بـهـا
تـزخـرُ النفسُ بـأصـداءٍ جـديـدهْ

* * *

هـدأ الـليـلُ هنـا لـكـنـنـي
كنت في حسنك بـالصمت أُغني
كـلُّ لـحنٍ لـجبٍ يـغـشـى دمـى
لعب العـازف بـالعـود الـمُـرنِّ
نـاقـلاً للنّهـر والـسهـل معـاً
قـصـةً يشـرحُـهـا عنـك وعـني
قصـة الشـاعـر والحسن إذا اسـ
ـتبقـا لـلخلد في حـومـة فـنّ

* * *

مـا الـذي فـي خـصـلة راقـدة
مـا الـذي في خـطِّه أو كتبِـهْ؟
مـا الـذي فـي أثـرِ خـلَّفـه
منْ أفـانيـن الهـوى أو عـجبـه
مـا الـذي في مجلس يـألفـه
عـقـد الـحب عـليـه مـوعـده
ربـمـا يـبـكي أسـىً كـرسيُّـه
إن نـأى عنـه وتبكي الـمـائـده
ولـقـد نـحسبـهـا هـشَّـت إذا
عـائـد هشَّ لـهـا أو عـائـده
ولـقـد نـحـسبـهـا تـسـألـنـا
حـيـن نـمـضي أفـراق لـعِـدَه؟

* * *

كـم أعـدَّت نفسهـا وانـتـظرت
واستوت مـوحشـة تحت السمـاء
وهي لـو تملِك كفّـاً صـافـحت
كفَّـكِ الغضّـة في كـل مسـاء
رُبَّ كـرم مـدَّه الـلـيـل لـنـا
فتـواثبـنـا لـه نبـغي اقـتـطافـهْ
وعـلى خـيـمـتـه حـارسـه
عـربي الجـود شـرقي الضيـافـهْ
وجَـد الـعـرس عـلى بـهـجتـه
وسـنـاه دونَ وَرْدٍ فـأضـافـهْ
ثـم وارتـه غـيـابـاتُ الـدّجـى
كخيـالٍ من أساطيـرِ الخُرافـهْ

* * *

أرجٌ يـعبـقُ في جُـنـحِ الـدّجى
حملتـه نحـو عَـرْشيْنا الـريـاحْ

كـلُّ عـطرٍ في ثنـايـاه سـرى
كـان سِـرّاً مُضمـراً، فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِـصَـرٍ فيـهـا كـآمـاد فسـاحْ
نـتـمـنى كـلمـا امتـدتْ بـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

أنـا إن ضـاقت بيَ الـدنيـا أفيءْ
لـثـوانٍ رحبـةٍ قـد وسِعتـنـا
إنـمـا الـدنيـا عُـبـابٌ ضمَّـنـا
وشـطوطٌ مـن حـظوظ فـرَّقتـنـا
ولـقـد أطـفـو عـليـه قـلِقـاً
غـارقـاً في لحـظةٍ قـد جمعتنـا
ومـعـاني الحسـن تـتـرى وأنـا
نـاظـرٌ فيهـا لمعنىً خلف معنى
هـذه الـدنيـا هـجيـرٌ كـلُّهـا
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالـكْ
ربـمـا تـزخـر بـالحسـن ومـا
في الدُّمى مهما غلت سحر جمالكْ
ولـقـد تـزخـر بـالـنـور وكـم
من ضياء وهو من غيرك حالـكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لـتمنيـت خيـالاً مـن خيـالـكْ!

* * *

قـلت لـلّيـل الـذي جـلّلنـا
والـذي كـان على السـرِّ أمينـا
أين يـا قلبيَ مَنْ قـلبي اجتبى
لهـواه واصـطفـاه لي خـدينـا؟

لـم أكن أطـمـع أن تـرحـمـني
بعد أن قضَّيت في الوجـد السنينا
لم أكن أطـمـع أن تُضـمِـر لي
آسياً يُبـرىءُ لي الجـرح الـدفينـا
لـم أكن أعـلم يـا ليـل الأسى
أن في جنحـك لي فجـراً جنينـا

* * *

أيهـا الـلائـذ بـالصـمت كـفى
وأدِر وجهَـكَ لي وانـظرْ طـويـلا
لا تمِـل واسخـرْ من الـدنيـا إذا
شـاءت الأيـام يـومـاً أن تميـلا

* * *

مـا الـذي مكَّن في القلب الـودادْ
مـا الذي صبَّـك صبّاً في الفؤادْ؟
مـا الـذي ملَّك عينيـك القيـادْ
ما الذي يعصف عصفـاً بالـرشادْ؟
مـا الـذي إن أُقصـهِ عنيَ عـادْ
طـاغيـاً سِيّـان قـربٌ أو بعـادْ؟
مـا الـذي يـخلقنـا مـن عـدم
ما الذي يُجري حياة في الجمادْ؟

* * *

كـم حبيـب بَـعُـدت صـهبـاؤه
وتبـقـت نـفـحـة مـن حـبَـبـهْ
في نسيـج خـالـدٍ رغم البلى
عـبث الـدّهـرُ ومـا يـعبـث بـه

* * *

أيـن سلطاني ومـجـدي والـذي
حـبُّـه مـجـدٌ وسـلطانٌ وعـزَّه؟

أين إلهامي ونوري والذي
أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

* * *

نأى عني

قد نأى عني الذي يرحمني
والذي يفهم آلامي وروحي
والذي أعبد منه غُرَّةً
كندى الأزهار في الوجه الصبيحِ
والذي أشتَمُّ منه غادياً
عبقَ الأنداءِ في الوادي الصدوحِ
آه يا هند جراحي كثُرَت
فتعاليْ ضمدي أنتِ جروحي!

قصة حب

مرت حياتي دون أمنيةٍ
وتقلّبت مَللا على مللِ
حتى لقيتكِ ذات أمسية
فعرفت فيكِ مطالع الأمل

* * *

طافت بني الأيامُ واحدة
لم تلقني فرحاً ولا جزعا
وتمرّ فارغة وحاشدة
وقد استوت ضِيْقا ومتسعا

* * *